سلسلة الدروس (١٧)

١٤٤٨هـ

شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

الشيخة

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة وأجوبة الدرس (١٤)❐

١. استشكل هذا الباب مع ما تقدم من الأبواب ففيها ما يفيد تفسير كلمة التوحيد؟

هذا الباب فيه زيادة إيضاح وبيان في تفسير التوحيد.

٢. ما هو الشاهد في هذا البيت: وقدَّمت الأديم لراهشيه... وأَلْفَى قَوْلها كذِبًا ومَيْنَا؟

المَين: هو الكذب. والشاهد فيه: أن الشيء قد يُعطف على نفسه إذا اختلف اللفظان، كما استشهد به على ذلكَ الفراء وجماعة.

٣. في قوله تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ في الاستنباط(الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم)من أي وجه هذا؟

لأن الآية نزلت في أناسٍ صالحين، وكان يعبدهم بعضُ المشركين، فأنكر الله عليهم وبيَّن لهم أن الذين تعبدونهم يرجوني ويخافوني.

٤. هل قوله تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ هل ثبت لها سبب نزول؟

نزولها ثابت عند مسلم(٣٠٣٠)، قال: فَنَزَلَتْ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وأصل الحديث عند البخاري(٤٧١٥)، وليس فيه ذكر النزول.

٥. قوله تَعَالَى: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)} هل هذه الآية فيها سبب نزول؟

جاء ذلك صريحًا عند الحاكم في «المستدرك»(٢/٣٩٤)(٣٣٧٨): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ-ابن

مسعود-رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَتَمَسَّكَ الْإِنْسِيُّونَ بِعِبَادَتِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. وفيه ضعف.

٦. ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ما الفرق بين كشف الضر وتحويله؟

كشف الضر أي: رفعه، وتحويله أي: كتحويل المرض إلى عافية، الشدة إلى رخاء، واليسر إلى عسر، والفقر إلى غنى أو العكس...

٧. هل يملك المدعو من دون الله نفعًا أو ضرًّا؟

لا، قال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾.

٨. من هو ابن زيد في التفسير؟

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم(من فوائد والدي رحمه الله).

٩. ما إعراب(إذ) {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ}؟

(إذ) مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر، ومنهم من قال: (إذ) ظرف زمان. قال ابن هشام في «مغني اللبيب»(١١١): وهذا هو الْغَالِب على الْمَذْكُورَة فِي أَوَائِل الْقَصَص فِي التَّنْزِيل أَن تكون مَفْعُولا بِهِ بِتَقْدِير: اذكر. اهـ.

١٠. ما دلالة المطابقة في كلمة لا إله إلا الله؟

النفي والإثبات.

١١. هل جميع ذرية إبراهيم مسلمون؟

لا، ﴿* وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ [الصافات: ١١٣].

١٢. ما هو العقب؟

الذرية.

١٣. لعل في هذا الموضع: { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } بمعنى ماذا؟

تعليلية، بمعنى: كي.

١٤. قوم إبراهيم ماذا كانوا يعبدون من دون الله؟

الكواكب والشمس والقمر كما في سورة الأنعام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٥)

قَالَ الشيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ حَسَنَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَّهَابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيُّ رحمهم الله:

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [التوبة: ٣١] الآية.

ش/ وفي الحديث «الصحيح» أن رسول الله ﷺ لما تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي، قال: يا رسول الله، لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحلون ما حرم الله؛ فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله؛ فتحرمونه؟»، قال: بلى. فقال النبي ﷺ: «فتلك عبادتهم» (١).

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله، وبها اتخذوهم أربابًا كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة لا إله إلا الله.

فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله؛ لمنافاته لمدلول هذه الكلمة، فأثبتوا ما نفته من الشرك، وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ

---

(١) هذا الحديث عن عدي بن حاتم رضي الله عنه فيه غُطَيف بن أعيَن وهو ضعيف، وقد استفدنا هذا من والدي رحمه الله، وهو حديث أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

وهذه الآية لها إعادة في هذا الباب نفسه بأبسط من الشرح المذكور هنا، فنؤجل الكلام عليها إن شاء الله للذي بعده في درس قادم إن شاء الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية.

ش/ فكل من اتخذ نِدًّا لله، يدعوه من دون الله، ويرغب إليه، ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته، وتفريج كرباته كحال عبَّاد القبور والطواغيت والأصنام؛ فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك؛ فإنهم أحبوهم مع الله، وإن كانوا يحبون الله تعالى(٢)، ويقولون: (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره، فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يُبطل كل قول يقولونه، وكل عمل يعملونه؛ لأن المشركَ لا يُقبل منه عمل، ولا يصح منه (٣)، وهؤلاء وإن قالوا: (لا إله إلا الله)؛ فقد تركوا

---

(٢) هذا يفيد أن المشركين يحبون الله سُبحَانَهُ، لكنهم أشركوا معه غيره في المحبة من الأصنام وغيرها، وهذا شرك أكبر، قال الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

(٣) فمن اتخذ ندًّا لله ذهبت أقواله، كذكر الله من تحميد وتسبيحه وتهليل وتكبير واستغفار ونحو ذلك وقراءة قرآن، كل أقوالهم لا تُقبل منهم؛ لوجود الشرك، وأعمالهم أيضًا من صيام وصلاة وزكاة وإحسان تذهب عليهم هباءً منثورًا؛ بسبب الشرك، وقد مر معنا أدلة في دروس «الأمثال في القرآن» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن غالب الأمثال في القرآن لتقرير التوحيد وإبطال الشرك، وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ [محمد: ١]، أي: أبطل أعمالهم، وقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ

كلَّ قيد قيَّدت به هذه الكلمة العظيمة:

من العلم بمدلولها؛ لأن المشرك جاهلٌ بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص.

ولم يكن صادقًا في قولها؛ لأنه لم ينف ما نفته من الشرك (٤)، ولم يثبت ما أثبتته من

كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩].

(٤) هذه من شروط (لا إله إلا الله)، فلا إله إلا الله لها شروط ثمانية:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالقَبُولِ لَهَا

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا... دونَ الإلهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

العلم: المنافي للجهل، فلا يصح الجهل بمعنى لا إله إلا الله، قال تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]، فلا بد أن يعرف معناها وما دلت عليه من إفراد الله ﷻ بالألوهية ونفي عبادة ما سواه.

اليقين: المنافي للشك، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

والإخلاص: بتصفية العمل من شوائب الشرك ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ

يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

الصدق: المنافي للكذب ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣]، وعن أَنَس بْن مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ! ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ!»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟! قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا». وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

المحبة: محبة كلمة التوحيد وما دلت عليه، قال تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥].

والانقياد أي: انقياد واستسلام لهذه الكلمة، قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

والقبول: يقبلها بقلبه ولسانه وجوارحه، قال الله تَعَالَى عن مشركي قريش: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

الإخلاص، وترك اليقين أيضًا؛ لأنه لو عُرِّفَ بمعناها وما دلت عليه لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله، وهو الحق، ولم يكفر بما يُعبد من دون الله كما في الحديث (٥)، بل آمن بما يُعبد من دون الله باتخاذه الند ومحبته له وعبادته من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأنهم أخلصوا له الحب، فلم يحبوا إلا إياه، ويحبون من أحب، ويخلصون أعمالهم جميعها لله، ويكفرون بما عُبد من دون الله، فبهذا يتبين لمن وفقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي دعت إليه جميع المرسلين، فتدبر (٦).

قال المصنف: وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ

والبراءة من الشرك والمشركين، قال تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦].

(٥) هذا هو البراءة من الشرك، والحديث يشير إلى حديث عَنْ طارق بن أَشِيم، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» رواه مسلم (٢٣).

(٦) ختم الكلام على هذه الآية ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ بهذه العبارة: (فتدبر)، وهذا فيه حث للقارئ على فهم ما دلت عليه هذه الآيات في معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا كان الشيء يحتاج إلى تمعن ونظر يُحث القارئ إلى فهمه بقول: تدبر، أو تأمل، أو تفطن، ونحو ذلك.

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية.

ش/ يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ الآية (٧) [الإسراء: ٥٦] (٨).

---

(٧) مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أكمل، أو خبر لمبتدأ محذوف أو منصوب بنزع الخافض، هذا يتكرر في كلام أهل العلم، وقد كان والدي رحمه الله في «تفسير ابن كثير» إذا مر به قول: (الآية) يكمل قراءة الآية إن أمكنه.

(٨) هذه الآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦]، وقوله عز وجل: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، هذه الآيات لها إعادة مع أنها تقدمت في نفس هذا الباب، وهنا جواب عما قد يحصل من إشكال: قال الشيخ ابن حزام حفظه الله في حاشية «فتح المجيد»(١٧٨): في النسخة [أ] ذكر هٰهنا (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا

قال ابن كثير: يقول تعالى {قُلْ} للمشركين ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأنداد، وارغبوا إليهم؛ فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: بالكلية.

﴿وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾، أي: ولا أن يحولوه إلى غيركم؛ فإنَّ الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له.

قال العوفي [٩] عن ابن عباس في الآية: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة، والمسيح، وعُزَيْرًا، وهم الذين يُدعَون.

وروى البخاري في الآية عن ابن مسعود قال: ناسٌ من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا. وفي رواية: كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم [١٠].

إله إلا الله)، ثم أعاد شرح الآيات، وإعادة شرح الآيات واقع في النسختين، وقد عُلِّقَ بحاشية [أ] بما نصُّه: سبب تكرار هذا الباب أنه وجد هذا التقرير متقدم في الكلام على هذا الباب من أوله إلى قوله: (فتدبر) في نسخة قديمة للشارح رحمه الله تعالى، فأحببت أن أكرره؛ ليعلم الناظر في هذا الكتاب سعة علم المصنف، وحفيده الشارح، والمهذب لهذا الكتاب، وحسن تقريرهم، وتنويعهم العبارة، وتفننهم فيها، مع اتحاد المعنى، رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا، آمين. اهـ.

فما تقدم من الآيات إلى قول الشارح: (فتدبر) كان كالمقدمة ثم أعادها بشرح أوسع.

(٩) العوفي: عطية بن سعد ضعيف.

(١٠) الحديث تقدم.

وقول ابن مسعود [هذا] يدُلُّ على أن الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين(١١).

وقال السدي(١٢) عن أبي صالح، عن ابن عباس في الآية قال: عيسى، وأمه، وعزير.

وقال مغيرة عن إبراهيم(١٣): كان ابن عباس يقول في هذه الآية: هم عيسى، وعزير، والشمس والقمر.

---

(١١) تفسير الوسيلة بالعمل الصالح تقدم هذا المعنى في الدرس السابق، والإسلام، فهذا فيه تفسير الوسيلة وأنها ليست الوسيلة اتخاذ وسائط تعبد من دون الله، ويصرف لها العبادات من الرجاء، والمحبة، والرهبة، والتوكل، وغير ذلك، فيجب أن نفهم معنى الوسيلة في هذه الآية الكريمة.

قال شيخ الإسلام ﷺ في كتاب «التوسل والوسيلة»(٨٥): فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى ذلك إلا ذلك. اهـ.

وقد شرح هذه الآية ابن القيم ﷺ في «مدارج السالكين»(٢/ ٤٢)، وقال: يَقُولُ تَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِي: هُمْ عِبَادِي، يَتَقَرَّبُونَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي، وَيَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي، فَلِمَاذَا تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِي؟ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ مِنَ الْحُبِّ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. اهـ. أي: أثنى على المدعوين، وهم الرجال الصالحون.

(١٢) هذا السدي الكبير: إسماعيل بن عبدالرحمن. يرويه عن أبي صالح باذام مولى أم هانئ ضعيف.

(١٣) إبراهيم بن يزيد النخعي لم يسمع من أحد من الصحابة. يراجع «جامع التحصيل»(١٤١).

وقال مجاهد: عيسى، وعزير، والملائكة [١٤].

وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

---

(١٤) هذا الأثر صحيح عن مجاهد رحمه الله.

هذه بعض الأقوال في بيان المدعوِّين في قوله تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾، ولا تنافي بينها، وسيأتي عن شيخ الإسلام كلام جميل بعد أسطر.

لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء (١٥)، فكل داعٍ دعاءَ عبادة، أو [استغاثة] (١٦)؛ لا بد

---

(١٥) كما في هذه الآية: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾، وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]. وقد قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

وهذا فيه أقسام العُبَّاد.

وقوله: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق) قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله في «شرح فتح المجيد»(١/٧٢٩): والذي لا يعبد الله إلا بالمحبة كالصوفية هذا صوفي.

إلى أن قال: من عبد الله بالمحبة فقط فهو صوفي، الصوفية يقولون: نحن لا نعبد الله خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته، وإنما نعبده؛ لأننا نحبه فقط. اهـ.

(ومن عبد الله بالرجاء) أي: أخذ بأدلة الرجاء، وهي أدلة الوعد، فهو مرجئ، وهذا أخذ بطرف من الأدلة وهي أدلة الرجاء وترك أدلة الوعيد.

(ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري) خارجي، فالخوارج أخذوا بطرف من الأدلة، وهي أدلة الوعيد.

ومن جمع بين الثلاثة: عبادة الله بالحب والخوف والرجاء فهذا مؤمن موحد.

(١٦) الاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

له من ذلك [١٧]، فإما أن يكون خائفًا، وإما أن يكون راجيًا، وإما أن يجتمع فيه الوصفان [١٨].

قال شيخ الإسلام في هذه الآية -لما ذكر أقوال المفسرين-: وهذه الأقوال كلها حَقٌّ؛

والفرق بين الاستغاثة وبين الدعاء: أن الاستغاثة تكون من المكروب، قال الله تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]، والدعاء يكون من المكروب وغيره، فمن استغاث فقد دعا، ومن دعا فقد يكون مستغيثًا، وهذا من المكروب، وقد يكون بغير استغاثة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة. يراجع: «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان(١٧٥)، و«حاشية كتاب التوحيد»(١١٣) لعبدالرحمن بن القاسم.

فعلى ما تقدم عطف الاستغاثة على دعاء العبادة من عطف الخاص على العام، وإذا كان العكس عطف الدعاء على الاستغاثة كتبويب الإمام النجدي في «كتاب التوحيد»: (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) فهذا من عطف العام على الخاص.

إذن قوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، هنا الدعاء دعاء مكروب وشدة؛ لأنهم يدعون الله ويوحدونه في الشدائد، فهنا الدعاء دعاء استغاثة؛ لأن دعاء الاستغاثة يكون من المكروب، وفي حال الشدة.

(١٧) وهو الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة والدعاء.

(١٨) الخوف والرجاء.

فإنَّ الآيةَ [١٩] تَعُمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر، والسلفُ في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا. فيقول: هذا. فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيصُ نوعٍ دون نوع مع شمول الآية.

فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًّا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميّتًا، أو غائبًا من الأنبياء، والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة [٢٠]، أو غيرها؛ فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن، فقد نهى الله تعالى عن دعائهم، وبَيَّنَ أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، لا يرفعونه بالكلية، ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦﴾، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل [٢١].

فكل من دعا ميّتًا، أو غائبًا من الأنبياء، والصالحين، أو دعا الملائكة، فقد دعا من لا يغيثه،

---

(١٩) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾.

(٢٠) يعني: يدعو المخلوق، ويقول: أغثني، أو كان بغير لفظ الاستغاثة.

(٢١) في بيان عجز المدعو من دون الله، فلا يقدر على تحويل الشيء من مكانه إلى مكان آخر، ولا إلى تحويل حال إلى حال آخر، هذا كله بيد الله سُبحَانَهُ، فمن كان مضطرًا لا يقدر أحد أن يحول حاله إلى يسر ورخاء؛ لأن هذا بيد الله.

ولا يملك كشف الضر عنه، ولا تحويله [٢٢]. انتهى.

---

(٢٢) هذا خلاصة الكلام في المدعوين في الآية ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ من هم المدعون في هذه الآية؟ هٰهنا بعض عَنْهُ الأقوال: فمنهم من فسره بعيسى، وأمه، وعزير، ومنهم من فسر: بعيسى، وعزير، والشمس والقمر. إلى آخر ما تقدم. فشيخ الإسلام بعد أن ذكر أقوال المفسرين في الآية بين أن الأقوال المذكورة كلها حق، فلا تنافي بينها، وما ذُكر من التفاسير الخاصة فالسلف لهم طريقة في التفسير: أنهم قد يذكرون التفسير بالمثال، فلا ينفي أن تكون الآية أعم؛ لأنهم فسروا بالمثال ولا يريدون الحصر، وضرب لهذا مثلًا بمن يترجم لمن سأله ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا، فهذا تفسير بالنوع؛ لأن ليس كل الخبز يكون رغيفًا، فهذا تفسير بالمثال، وقد ذكر هذه القاعدة شيخ الإسلام في «مقدمة في أصول التفسير»(١٥)، وقال: فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه به على نظيره، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق، والعقل السليم يتفطن للنوع، كما يتفطن إذا أشير له إلى رغيف، فقيل له: هذا هو الخبز. اهـ. الحد: التعريف.

إذن فالآية أعم، قال شيخ الإسلام هنا: (فإنَّ الآيةَ تَعُمُّ من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة، أو من الجن، أو من البشر).

وفي هذه الآية: ردٌّ على من يدعو صالحًا (٢٣)، ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا؛ الشرك عبادة الأصنام.

قال المصنف رحمه الله: وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] الآية.

ش/ قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مُخْبِرًا عن عبده ورسوله وخليله، إمامِ الحنفاء (٢٤)،

---

(٢٣) وهو لا يفهم التوحيد ويرى أنه لا يشرك، فهذه الآية رد عليه، فهؤلاء يدعون صالحين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾.

ومن فوائد هذه الآية:

تنافس الصالحين في القرب من الله وحده.

أن الذين يُدعون من الصالحين والنبيين والملائكة في شغل عن عابديهم بعبادة الله سُبحَانَهُ والقرب منه.

(٢٤) هذا فيه وصف خليل الله إبراهيم عليه السلام بـ(إمام الحنفاء).

إمام الحنفاء: المراد: قدوة الحنفاء. قال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل:١٢٣].

حنفاء: جمع حنيف، وهو المقبل على الله المعرض عما سواه.

ووالد من بُعث بعده من الأنبياء (٢٥)، الذي تنتسب إليه (٢٦) قريش في نسبها ومذهبها (٢٧):

---

(٢٥) فلم يُبعث نبي بعد نبي الله إبراهيم إلا وهو من نسله، قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد: ٢٦]. وقال تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: هَذِهِ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَعَ اتِّخَاذِ اللَّهِ إِيَّاهُ خَلِيلًا، وَجَعْلِهِ لِلنَّاسِ إِمَامًا أَنْ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ، فَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، فَجَمِيعُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سُلَالَةِ يَعْقُوبَ بْنِ إسحاق بن إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَقَامَ فِي مَلَئِهِمْ مُبَشِّرًا بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ خَاتَمِ الرُّسُلِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ صَمِيمِ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بن إبراهيم عليهما السلام، وَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

(٢٦) أي: إلى إبراهيم.

(٢٧) فقريش تنتسب إلى نبي الله إبراهيم، وهذا بنص الحديث، روى مسلم (٢٢٧٦) عن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وإسماعيل هو: ابن ابراهيم، فقريش عدنانيون من نسل إبراهيم. وهذه المسألة في الأنساب، وهذا يدل على أن قريشًا نسبهم عالي، لكن كما نكرر التنبيه أن شرف النسب ليس هو الميزان عند الله، قال الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾، أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، جعلها في

وسبق لنا في دروس السيرة من هو قريش؟

قولان: أحدهما: أنه فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، والثاني: أنه النضر بن كنانة.

فقريش هو: فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

وعلى القول الثاني: الجد وهو النضر بن كنانة...

وعَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ أَهْلِ النَّسَبِ قريش هُمُ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ.

يراجع«البداية والنهاية»(٢/ ٢٠٠)، و«الفصول في سيرة الرسول».

و من قال: النضر بن كنانة؛ فلحديث الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ﵁ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ فَقُلْتُ: أَلَسْتُمْ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو أُمَّنَا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا». رواه ابن ماجه وله طرق.

قال ابن كثير ﵀ تعالى في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٠١) عن هذا الحديث: هذا الحديث هو فيصل قوي في هذه المسألة، فلا التفات إلى قول من خالفه.

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»(٢/ ٢٠٠): قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَالَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ؛ لِحَدِيثِ الأشعث بْنِ قَيْسٍ.

قال ابن كثير: وَهُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ، وَأَبُو عبيدة معمر بن الْمُثَنَّى، وَهُوَ جَادَّةُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ﵁.

ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، أي: إليها.

قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾: يعني: لا إله إلا الله، لا يزال في ذريته من يقولها.

وروى ابن جرير عن قتادة: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، قال: إنهم يقولون: الله ربنا، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فلم يبرأ من ربه [٢٨]. رواه عبد بن حميد.

وروى ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾، قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده.

قلت [٢٩]: فتبين أن معنى لا إله إلا الله: توحيد العبادة بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه [٣٠].

---

(٢٨) لأنه يقول: ربنا الله.

(٢٩) الشارح عبدالرحمن بن حسن رحمه الله.

(٣٠) لأننا في تفسير التوحيد بالأدلة، وهذه من جملة الآيات التي تفسر كلمة لا إله إلا الله، وأن معناها إفراد العبادة لله والبراءة من كل ما سواه، فعلى هذا من فسر كلمة التوحيد بغير هذا فقوله باطل، مثل قول بعضهم: لا إله إلا الله، أي: لا قادر على الخلق إلا الله، فهذه الآية وما في معناها تفسر كلمة التوحيد.

قال المصنف [٣١] رحمه الله: وذكر سبحانه أن هذه البراءة [٣٢]، وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله.

وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية» [٣٣]:

وإذا تولاهُ امرؤ دون الورى *** طُرًّا تولاه العظيم الشان[٣٤]

---

(٣١) محمد بن عبدالوهاب.

(٣٢) البراءة من الشرك ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦]، وهذه الموالاة ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٧] هي شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا المعنى هو الذي يفيده كلمة التوحيد.

(٣٣) هي التي تسمى «بنونية ابن القيم».

(٣٤) هذا البيت شرحه الشيخ ابن عثيمين كما في مقطع صوتي له، بما نصه:

إذا تولاه امرؤ تولى مَن؟ تولى اللهَ، (دون الورى) فلم يتولهم، وخَص الولاية لله. (تولاه العظيم الشان)، فهنا ولايتان: ولاية منا لله، وولاية من الله لنا، فمن تولى اللهَ تولاه الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦]، فمَن تولى اللهَ تولاه اللهُ، ومَن لم يتول الله تخلى عنه الله. اهـ.

وهذا بيت جميل في تعلق قلب العبد بربه، فمن تولى اللهَ تولاه الله، وقوله:

(وإذا تولاه امرؤ دون) بمعنى: سوى. (الورى) الخلق.

(طرا) حال. أي: جميعًا. قال ابن هشام في «مغني اللبيب»(٦٠٦) في سياق ما يدل عليه الحال: ومؤكدة لصَاحِبهَا نَحْو: «جَاءَ الْقَوْم طرا».

(تولاه العظيم الشأن) وهو الله سُبحَانَهُ، فمن تولى اللهَ تولاه، ومن حفظ اللهَ حفظه.

نكون قرأنا بعض الآيات: قوله تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾، ولها إعادة بشرح أوسع إن شاء الله.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾، وقوله تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾، وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، وهذه الآيات تفسر كلمة التوحيد، وأنها تفيد النفي والإثبات.